

## باب التوجيه<sup>(١)</sup>

ويقال الإبهام؛ وهو أن يأتي الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقوله:  
وَيَزْغَبُ أَنْ يَبْنِي الْمَعَالِي خَالِدًا وَيَزْغَبُ أَنْ يُضِي صَنِيعَ الْأَلَامِ  
فإن جعلت الرغبة الأولى مقدرة بـ "في" كان مدحاً، وبـ "عن" كان ذمماً،  
وإن جعلت الثانية مقدرة بـ "عن" كان ذمماً، وبـ "في" كان مدحاً.

وكقول بعضهم للمأمون في تهنئة بعروس:

يَا إِمَامَ الْهُدَى ظَفِرُ تَ وَلَكِنْ بِنْتِ مَنْ  
وقول آخر في خياط أعور اسمه زيد<sup>(٢)</sup>:

خَاطَ لِي زَيْدٌ قُبَاءً لَيْتَ عَيْتِيهِ سَوَاءٌ  
فلا يُدْرَى بِنْتِ مَنْ فِي الضَّعَّةِ أَوْ الرِّفْعَةِ، أَوْ الصَّحِيحَةِ تَسَاوَى الْعَوْرَاءُ أَوْ  
العكس؟

وقول ابن حجّام:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مِنْ بَيْنِ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا  
تَأْتِيهِ طَوْعًا إِلَيْهِ خَاضِعَةً يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا  
فهذه أوصافٌ تصلح للملوك وللحجّام.

(١) هو أن يؤتى بكلامٍ يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاءٍ، ومديحٍ، ودعاءٍ للمخاطب، أودعاءٍ عليه، ليلبغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه.  
انظر: زهر الأكم في الأمثال و الحكم (٢٠٨/١) وتحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر (١٢٢/١) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٩/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٠١-٢٩٥/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

(٢) انظر: زهر الأكم في الأمثال و الحكم (٢٣٧/١) والعقد الفريد (٣٤٦/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٩/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٩٤/١) وكتاب الكليات - لأبي البقاء الكفومي (٢٥/١).

وقول ابن طبّاخ:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا تَنْزِلُ الْأَرْضَ قَدْرُهُ      وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ  
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقَعُودُ  
فهذه تصلح للحاتم، وللطّباخ.

ومنه حديث: "مَنْ جَعَلَ قَاضِيًا فَقَدْ دُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ"<sup>(١)</sup>؛ أي: لما يتحمّله من المشاقِّ لوفاء الحقوق، وهذا مدح، أو لما يقع فيه من الظلم وهذا ذمٌّ. قال السّكاكي: ومنه متشابهات القرآن.

[الفرق بين التورية والتوجيه]<sup>(٢)</sup>:

١- التورية: تكون في لفظٍ واحدٍ. وأمّا التوجيه: فيكون في تركيبٍ.

ب- التورية: يقصد المتكلّم بها معنى واحدًا: هو البعيد. والتوجيه: لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر].

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٨/٣، رقم ٣٥٧٢)، وابن ماجه (٧٧٤/٢، ٢٣٠٨)، والحاكم (١٠٣/٤، رقم ٧٠١٨) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه البيهقي (٩٦/١٠، رقم ٢٠٠٠٥). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤٩١/١١، رقم ٦٦١٣)، والدارقطني (٢٠٤/٤، رقم ٧) والنسائي في الكبرى (٤٦٢/٣، رقم ٥٩٢٣) والطبراني في الأوسط (١٢٣/٣، رقم ٢٦٧٨) وابن عدى (٢٢٢/١، ترجمة ٦١ إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى).  
(٢) انظر: جواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

## باب الهجاء في معرض المدح

وهو أن يأتي بألفاظ ظاهرها المدح وباطنها القدح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، فهذا من أمثلة ورود الذم في صورة المدح.

وقول الشاعر في بعض الأشراف:

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ  
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُقُوقًا عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ  
وقول بعضهم في أبي تمام - وقد كان في لسانه لكمة:-

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشُّعِّ رِ وَيَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ  
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرَ خَلْقِ آلِ لَهُ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ  
وقوله:

لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةِ أَلْفَاطِهِ أَلَّفَ مَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ  
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رَبُّمَا قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ  
وأما ورود المدح في صورة الذم، فكقولهم: أخزاه الله ما أشعره! ولعنه ما أفصحه! وذكر ابن جنبي أن أعرابياً رأى ثوباً فقال: ما له مَحَقَّه الله! قال: فقلت له: لِمَ تقول هذا؟! فقال: إِنَّا إِذَا اسْتَحْسَنَّا شَيْئًا دَعَوْنَا عَلَيْهِ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَمْدَحُوا الشَّيْءَ فَيَصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ! فَيَعْدِلُوا مِنْ مَدْحِهِ إِلَى ذَمِّهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَدْحَ قَدْ يَخْرُجُ مَخْرَجَ الذَّمِّ، وَالذَّمَّ قَدْ يَخْرُجُ مَخْرَجَ الْمَدْحِ.

## باب التهكم

وهو الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وقوله: ﴿بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، فأيمانكم تهكم.

وقول ابن الرومي:

فِيَالَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَزْفَعُهُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلِ  
والفرق بين التهكم والهجاء في معرض المدح: أن التهكم لا تخلو ألفاظه من لفظة تدل على الذم، أو لفظة يفهم من فحواها الهجو، بخلاف الهجاء، فإن ألفاظ المدح لا يقع فيها شيء من ذلك، كذا قيل.

والشماتة: هي إظهار المسرة بمن أصيب كقوله - تعالى -: ﴿ذُقْ﴾  
فلفظة "ذق" شماتة، والباقي تهكم، والشماتة المخضة قوله لفرعون: ﴿ءَأَلَانَ  
وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

والهزل الذي يُراد به الجدُّ: هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه، بتخريج ذلك مخرج الهزل المعجب، والمجون المطرب، كما حكي عن أشعب أنه حضر بمكة وليمة لبخيل ثلاثة أيام، وفي المائدة جدي مشوي لا يمسه أحد؛ لعلمهم ببخله، فقال أشعب في اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك، فهو كلام ظاهره الهزل، ومراده به الجد.

وكقوله:

إِذَا مَا تَمِيمِي أَنْتَ مُفَاخِرًا قُلْ عَدِّ عَنِّ ذَا كَيْفَ أَكَلِكَ لِلضَّبِّ!؟

وقوله:

أَزْقِيكَ أَزْقِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ      مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ اللَّهُ يَشْفِيكَ  
مَا سَلِمَ كَفِّكَ إِلَّا مَنْ يُتَارِكُهَا      وَلَا عَدُوَّكَ إِلَّا مَنْ يُرْجِيكَ

وقوله:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلْمِي وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا      بِأَنَّ الْفَتَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ  
والفرق بينه وبين التهكم: أَنَّ التهك ظاهره جدُّ، وباطنه هزل، وهذا  
ظاهره هزل، وباطنه جد.

## باب النزاهة

وتختصُّ غالبًا بالهجاء، وهي عبارة عن نزاهة الألفاظ عن الفحش، قال أبو عمرو بن العلاء وقد سُئل عن أحسن الهجاء: هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها، مثل قول جرير:

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا      يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ  
ونحوه:

مَوَدَّةٌ ذَهَبَتْ أَثْمَارُهَا شَبَّةٌ      وَهَمَّةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفُهَا عَرْضُ  
نحوه:

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْقَوْمَ بُغِيَتْهُمْ      فِي رَبَّةِ الْعُودِ لَا فِي رَبَّةِ الْعُودِ  
وكقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [النور: ٥٠]، فانظر إلى مضاضة هذه الألفاظ ونزاهتها عن الفحش.

## باب الكناية<sup>(١)</sup>

وهي أن يُعبر عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر؛ كقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن الحدث، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة: ٦] كناية عن قضاء الحاجة، وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] كناية عن الجماع، وقوله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، والمراد الزُّناة.

ولا تجد معنى من هذه المعاني في القرآن إلا بلفظ الكناية؛ لأنَّ المعنى الفاحش متى عبّر بلفظه الموضوع له كان الكلام معيياً من جهة فُحش المعنى، وكقول من هجا شخصاً به داء الأسد، فكنى عنه، ورمى أمه بالفجور بطريق الكناية:

(١) الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنى، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به.

واصطلاحاً: لفظٌ أريد به غيرُ معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: «زيدٌ طويلٌ النجادُ» تريد بهذا التركيب أنه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالةِ السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشجاعةُ عادةً، فإذا: المراد طولُ قامته، وإن لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يعلمُ أنَّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحةُ إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز، فإنه ينافي ذلك، نعم: قد تمتنعُ إرادة المعنى الأصلي في الكناية، لخصوصِ الموضوع كقوله تعالى: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: ٦٧]، وكقوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: ٥] كنايةً عن تمام القدرة، وقوة التمكُّن والاستيلاء.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/١٠٤) و جواهر البلاغة للهاشمي (١/١٤) والمعجم الوسيط (٢/٥٢٠).

أَرَادَ أَبُوكَ أَمَّكَ حِينَ زُفَّتِ      فَلَمْ تُوجَدْ لِأُمِّكَ بِنْتُ سَعْدِ  
أَخُو لَحْمٍ أَعَارَكَ مِنْهُ ثُوبًا      هَنِيئًا بِالْقَمِيصِ الْمُسْتَجِدِّ  
بنت سعد: العذرة، وأخو لحم: هو الجذام.

وقوله في حَجَّام:

إِذَا عَوَّجَ الْكُتَّابُ يَوْمًا سَطُورَهُمْ      فَلَيْسَ بِمُعَوَّجٍ لَهُ أَبَدًا سَطْرُ

ومن مליح الكناية قول بعض العرب:

أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ      عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ  
سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَّرُونِي      هَنَا مِنْ ذَاكَ يَكْرَهُهُ الْكِرَامُ  
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسِّ      إِذَا هُوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الْحَرَامُ

كنى بالنخلة عن المرأة، وبـ"الهَن" عن الرِّفث، لكن من عادة العرب الكناية بـ"هَن" عن مثل ذلك، وأمَّا الكناية بالنخلة عن المرأة، فمن ظريف الكناية وغريبها.

## باب التورية<sup>(١)</sup>

ويقال لها: الإيهام والتوجيه والتخييل، والتورية أولى، مصدر ورّيت الخبر توريةً، إذا سترته وأظهرت غيره.

وفي الاصطلاح: أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويورّي عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أنه يريد القريب، وليس كذلك، قال الزمخشري: ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع منه، ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام رسوله، وكلام أصحابه، وذلك كقوله عليه السلام في مجيئه إلى بدر، وقيل له مِمَّنْ أنتم؟ فلم يُرد أن يُعلم السائل، فقال: "من ماء"، فورّي بقبيلة من العرب يُقال لها: ماء، وأراد: أنا مخلوق من ماء.

وكقول الصديق في الهجرة، وقد سُئِلَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هَذَا؟ فقال: هادٍ يَهْدِينِي، فورّي عنه بهادي الطريق، وأراد هادياً يَهْدِينِي للإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) لغة: مصدرٌ، ورّيت الخبر توريةً: إذا سترته، وأظهرت غيره. واصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع: أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقريظة تشير إليه ولا تُظهره، وتستره عن غير المتيقظ الفطن، كقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [سورة الأنعام، الآية: ٦٠]، أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمّيت التورية إيهاماً وتخيلاً.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/٩٦ و١١٣) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٣٢٩، رقم ٣١٨١٢).

وكقول عليّ في الأشعث بن قيس: وهذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين؛ لأنّ قيساً كان يحوك الشّمال التي واحدها شملة<sup>(١)</sup>.

وأقسام التورية أربعة، وفي التلخيص ضربان:

١- مجرّدة<sup>(٢)</sup>: وهي التي لا تجامع شيئاً ممّا يلائم المعنى القريب، نحو:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أراد باستوى معناه البعيد، وهو

استولى، ولم يُقرن به شيءٌ ممّا يلائم المعنى القريب، الذي هو الاستقرار كالجلوس والاضطجاع.

٢- مرشحة<sup>(٣)</sup>: وهي التي تجامع شيئاً ممّا يلائم المعنى القريب، نحو:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

أراد بالأيدي معناها البعيد وهو القدرة، وقرن بها ما يلائم المعنى القريب

الذي هو الجارحة المخصوصة، وهو قوله بنيناها؛ لأنّ البناء يلائم اليد.

والتحقيق أنّ الأقسام أربعة:

١- المجرّدة: وهي التي لم يُذكر لها لازمٌ من لوازم المورى به، ولا لازم

من لوازم المورى عنه كقول القاضي عياض في صيفية باردة:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ لَشَهْرٍ تَمْوِزَ أَنْوَاعًا مِنَ الْحُلَلِ

(١) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٥٦١/١.

(٢) وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين: كقول الخليل لما سأله الجبار عن

زوجته: فقال «هذه أختي» - أراد أخوة الدّين، وكقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [الأنعام: ٦٠] يريد بجرحتم المعاصي.

(٣) هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأنّ

القريب غير مراد، فكأنه ضعيف، فإذا ذكر لازمه تقوى به، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]، فإنه يحتمل (الجارحة) وهو

القريب، وقد ذكر من لوازمه البناء على وجه الترشيح، ويحتمل (القدرة) وهو البعيد

المقصود.

أَوْ الْغَزَالَةَ مِنْ طُولِ الْمَدَى خَرِفَتْ      فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَدْيِ وَالْحَمَلِ  
 فالغزاة تطلق على الحيوان المعروف، وهو المعنى القريب المورى به،  
 وعلى الشمس، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولم يذكر في  
 البيت شيء من لوازم المورى به، كطول العنق وحسن الالتفات، ولا من  
 لوازم المورى عنه كالإشراق والطلوع والغروب، والجدي والحمل يُطلقان  
 على الحيوان المعروف؛ وهو المعنى القريب المورى به، وعلى بُرجين في  
 السماء معروفين؛ وهو المعنى المورى عنه، ولم يذكر شيء من لوازم  
 المورى به كالرعي، ولا من لوازم المورى عنه كالسير في السماء، فوُجعت  
 التورية مجردة.

ومنها ما ذكر معها لازم المورى به ولازم المورى عنه، كقوله:

يَا حَبْدًا زَمَنُ الرَّيِّعِ وَرَوْضُهُ      وَنَسِيمُهُ الْخَفَّاقُ بِالْأَغْصَانِ  
 زَمَنُ يُرِيكَ النُّجْمَ فِيهِ يَانَعًا      وَالشَّمْسُ كَالدِّينَارِ فِي الْمِيزَانِ  
 فالميزان يحتمل السابغ من بروج السماء، وقد ذكر من لوازمه الشمس؛  
 وهو المعنى القريب، ويحتمل ميزان الذهب، وقد ذكر من لوازمه الدينار؛  
 وهو المعنى البعيد المورى عنه، فلمَّا ذكر لهذا لازم، ولهذا لازم كانا  
 كالبيتين المتكافئتين فتعارضتا وتساقتا، فصارت التورية مجردة.

٢- الثاني: التورية المرشحة: وهي المقرونة بلازم المورى به، لا المورى

عنه، واللازم تارة يتقدم، وتارة يتأخر، كقوله:

تَوَلَّيْتُ وَجَاءَتْ بِشِعْرِيَّةٍ      حَلَالِي بِهَا الْوَزْنُ وَالْقَافِيَةُ  
 وَرَاحَتْ كَشَمْسِ الضُّحَى تَجْتَلِي      بِمِيزَانِهَا وَالسَّمَا صَافِيَةُ

فالشعرية يراد بها الميزان، وهو المعنى القريب المورى به، وذكر من  
 لوازمه على جهة الترشيح الوزن، ويراد بها غشاء الوجه للمرأة، وهو المعنى  
 البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولم يذكر من لوازمه شيء، ومنها:

تَوَلَّى بِأَخْلًا بِالْوَضَلِ تَيْهًا عَلَى عُشَّاقِهِ وَرَنَا كَرِيمٍ  
وَقَالَ وَقَدْ رَأَى دَمْعِي حَمِيمًا لَقَدْ أَضْبَحْتَ صَبًّا ذَا حَمِيمٍ  
فالحميم يُراد به الماء الحار، وهو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر  
من لوازمه على جهة الترشيح الدَّمْع، ويُراد به الصَّدِيق، وهو المعنى البعيد  
المورى عنه، ولم يذكر من لوازمه شيءٌ.

٣- الثالث: التورية المبيّنة: وهي المقرونة بلازم المورى عنه، لا المورى  
به؛ ولذلك سُمّيت المبيّنة، كقوله:

لَقَدْ حَفِظْتُ بَنُو الْأَيَّامِ عَهْدِي كَحِفْظِ الرِّيحِ أَجْزَاءَ الرَّمَادِ  
وَكَمْ عَيْنٍ صَرَفْنَاهَا فَكَانَتْ مُسَاعِدَةً عَلَى نَيْلِ الْمُرَادِ  
فعين يحتمل الذهب، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، وقد  
ذكر من لوازمه على جهة التبيين الصَّرْف، ويحتمل عين الجارحة، وهو  
المعنى القريب المورى به، ولم يذكر شيءٌ من لوازمه، ومنها:

وَلَمَّا هَاجَ لِي تَذْكَارُ لَيْلِي وَأَكْنَافُ الْحِجَازِ سَنَا الْبُرُوقِ  
تَبَسَّمَ بُغْيَتِي لَيْلًا فَلَا حَتَّ نَيْيَاتُ الْعُذَيْبِ مَعَ الْعَقِيقِ  
فالنَّيَّاتُ والعذيب والعقيق تحتمل الأماكن الثلاثة من أودية الحجاز،  
وهو المعنى القريب المورى به، ولم يذكر شيءٌ من لوازمه، ويحتمل: نيات  
الثغر، والعذيب الريق، والعقيق حمرة الشفتين، واللازم تبسم، ومنها:

أَيُّهَا الْمُتَنَكِّحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمَعَانِ  
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي  
قاله عمر بن أبي ربيعة في صاحبه الثريا من ولد تيم بن عبد مناف؛ لَمَّا  
تزوَّجها سهيل ابن عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة، وأمه من قبيلة باليمن  
فنسبه إليها، فالثريا وسهيل يُراد بهما النُّجْم، وهو المعنى القريب المورى به،

ويراد بهما الشخص؛ وهو المعنى البعيد المطلوب المورى عنه، واللازم قوله المنكح.

٤- الرَّابِع: التورية المهيئة: وهي ما وقعت فيها التهيئة للمورى به، لا

المورى عنه، كقوله:

لِلَّهِ عَصْرُ الرَّيِّعِ الْمُشْتَهَى فَلَكُمْ جَاءَتْ مِنَ الشُّحْبِ فِي آيَاتِهِ زُمُرُ  
عَصْرٍ بِهِ تَعْتَدِي الْأَطْيَارُ صَادِحَةً وَالنَّجْمُ يُزْهِرُ لَمَّا يُورِقُ الشَّجَرُ

فالنجم يحتمل النبات، وهو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر له الشجر، ولولا ذكره بعد ما تنبه السامع للنبات، ولكن بذكره تهيأت التورية، ويحتمل الكوكب، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولم يذكر له شيء، ومنها:

رَاحَتْ ظُعُونُهُمْ تَحْدُو بِكَاعِبَةٍ تَعَارُ مِنْهَا لَدَى الظُّلْمَاءِ أَقْمَارُ  
مَا أَنْجَدُوا بَلْ تَوَلَّوْا مُتَّهَمِينَ بِهِ يَا لَيْتَهُمْ أَنْعَمُوا مِنْ بَعْدِ مَا غَارُوا

يُقال لِمَنْ خِيَمَ بِنَجْدٍ أَنْجَدٌ، وَلِمَنْ حَلَّ بِتَهَامَةٍ أَتَهُمْ، وَلِمَنْ ارْتَبَعَ بِنِعْمَانٍ أَنْعَمَ، وَلِمَنْ ضَرَبَ بِالغُورِ غَارٌ، فَقوله: "متهمين" يحتمل دخولهم تهامة، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل التهمة، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولو لم يتقدم "متهمين ما أنجدوا" ما تهيأت التورية في متهمين، ولم يفهم منها إلا معنى التهمة، فلما ذكر ما يفهم منه دخول نجد تهيأت التورية في متهمين، وقوله: "غاروا" يحتمل دخوله غورة تهامة، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الغيرة أو الإغارة، ولو لم يذكر ما يفهم منه دخول نعمان، ما تهيأت في "غاروا".

ومنها ما تهيأت فيه التورية بين لفظين، لولا كل واحد منهما لما تهيأت

التورية في الآخر، كقوله:

مُذْ غَدَا الكَلْبُ صَائِدًا ظَنِيَّةَ الحَقِّ فِ وَلاَقَتْ بَعْدَ النَّعِيمِ نَكَالَهُ

قُلْتُ أَيُّ الزَّمَانِ مِثْلُ زَمَانٍ فِيهِ تَلْقَى الْعَوَاءَ فَوْقَ الْغَزَالَةِ  
فالعواء يحتمل الكوكب، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل  
الكلب، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولولا ذِكْرُه العواء  
المشترك بين اسم الكوكب والكلب ما فهم معنى اسم الغزالة المشترك بين  
الشمس والحيوان، وكذلك لولا ذِكْر الغزالة ما فهم اسم العواء، فلم تنهياً  
التورية في كل واحد منهما، إلاً بذكر الآخر.

تنبيهات:

الأول: أنه ليس كل لفظ مشترك بين معنيين يُتصوّر فيه التورية، وإنما  
تُتصوّر حيث يكون المعنيان ظاهرين، إلاً أن أحدهما أسبق إلى الفهم من  
الآخر، وهذا يختلف باختلاف الأماكن والعرف، وبحسب اللوازم المبينة  
والمرشحة.

الثاني: التورية المهيّئة أعم من المجرّدة؛ لأنه كلما وُجدت المهيّئة  
وُجدت المجرّدة، ولا عكس؛ لأنّ المجرّدة قد تكون في لفظ واحد لا يتعلّق  
بغيره.

الثالث: الفرق بين اللفظ الذي يهيئ، واللفظ الذي يرشح أو يبين؛ هو أن  
اللفظ الذي وقعت فيه التهيّئة، لو لم يذكر لم يكن ثمّ تورية، والمرشح  
والمبين إنّما هما مقومان للتورية، فلو فقدتا كانت التورية موجودة.

الرابع: اللُّغز، والفرق بينه وبين التورية: أن لفظ التورية يكون المعنى  
المراد منه مدلولاً عليه باللفظ؛ حقيقةً كان أو مجازاً، والمعنى المراد من  
اللُّغز لا يدلُّ عليه اللفظ بحقيقة ولا مجاز، ولا يكون من عوارض ذلك  
اللفظ، وإنّما هو أمر يُدرك بالحدس، وتتفاوت فيه الأفهام بحسب التمرين  
والاعتیاد، فكم من يكون أقوى الناس ذهناً، وهو بطيء في استخراجها؛ لقلّة  
اعتیاده، وكم من هو بالعكس، مأخوذ من اللُّغز: وهو الطّريق الذي يلتوي،

ويُشكِل على سالكه، كقوله في كتاب:

وَمَا رَوْضَةٌ يَجْنِي اللَّيْبُ ثِمَارَهَا  
وَذُو الْجَهْلِ مِنْهَا لَا يَنَالُ سِوَى الْوَرَقِ  
زَكَا غَرْسَهَا فِي غَيْرِ أَرْضٍ وَزَهْرَهَا  
إِذَا مَا سُقِيَ مَاءً تَمَزَّقَ وَأَنْخَرَقُ  
وقوله في إبرة:

سَعَتْ ذَاتُ سَمٍّ فِي قَمِيصِي فَغَادَرَتْ  
كَسَتْ قَيْصِرًا ثُوبَ الْجَمَالِ وَتُبَعًا  
وقوله في الأيام والليالي:

وَمَا مُقْبِلَاتٌ مُدْبِرَاتٌ تَشَابَهَتْ  
مُفَرَّقَةٌ الْأَسْمَاءِ وَاللَّوْنُ وَاحِدٌ  
يُصَادَفُ فِي أَطْوَارِهِنَّ حَلَاوَةٌ  
وَمِنْهُنَّ مُرَّاتٌ وَسُخْنٌ وَبَارِدٌ  
وقوله في الشمعة:

وَرَائِقُ اللَّوْنِ مُسْتَحَبٌ  
يَجْمَعُ أَوْصَافَ كُلِّ صَبٍ  
سُهَادُ عَيْنٍ وَسَكْبُ دَمْعٍ  
وَذَوْبُ جِسْمٍ، وَحَرُّ قَلْبٍ

## باب التمثيل

وهو أن يريد المتكلم معنى ما، فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ قريب من لفظه، بل بلفظ يصلح أن يكون مثلاً للفظ المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: هلك من قضى هلاكه، ونجا من قدرت نجاته، وإنما عدل عن اللفظ الخاص إلى التمثيل؛ لأمرين:

اختصار اللفظ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمرٍ أمرٍ مطاع.

ولحديث أم زرع: "زوجي ليل تهامة، فلا حرٌّ، ولا بردٌ، ولا خامة ولا سامة"<sup>(١)</sup>، فإنها أرادت وضمته بخسن العشرة مع نساءه، فعدلت عن لفظ التمثيل؛ لما فيه من الزيادة لتمثيلها الممدوح بليل تهامة، الذي صفته بأنه معتدل، فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم: حسن الخلق، وكمال الخلق، وكمال العقل المنتج لئلا الجانب وطيب المعاشرة، وحذفت أداة التشبيه؛ ليقرب المشبه من المشبه به، وهذا مما يُبين لك لفظ التمثيل في كونه لا يجيء إلا مقدرًا بمثل غالبًا، وكقول الرماح بن ميادة: أَلَمْ أَكُ فِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ:

ألم أكن قريبًا منك؟! فلا تجعلني بعيدًا عنك، فعدل عنه إلى لفظ التمثيل، لما فيه من الزيادة في المعنى؛ لما يعطيه لفظتا اليمين والشمال من الأوصاف؛ لأنَّ اليمين أشدُّ قوة، معدة للطعام والشراب، والأخذ والعطاء، وكل ما شرف، والشمال بالعكس، واليمين مشتق من اليمن وهو البركة، والشمال من الشؤم، فكأنه قال: ألم أكن مكرمًا عندك فلا تجعلني مهانًا! وكننت منك في المكان الشريف! فلا تجعلني في الوضيع.

(١) الحديث سبق تخريجه.

ويلحق بالتمثيل ما خرج مخرج المثل السائر، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى  
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ  
أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وكقول النابغة:  
وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقِ أَخَا لَا تَلْمُهُ      عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ!  
وقول بشار:

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ      مُقَارِفُ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَمُجَانِبُهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى      ظَمِئْتَ وَأَيُّ الْمَاءِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

## باب الإفراط في الصفة ويسمى:

### المبالغة<sup>(١)</sup>

وهو أن يُدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً؛ خوف توهم السامع أن الموصوف قاصر في تلك الصفة. وهي ثلاثة أقسام:

- ١- تبالغ<sup>(٢)</sup>.
- ٢- وإغراق<sup>(٣)</sup>.
- ٣- وغلو<sup>(١)</sup>.

(١) هي أن يدعي المتكلم لوصف، بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً، أو مستحيلاً،

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١١٦/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

(٢) إن كان ذلك الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً وعادةً، نحو قوله تعالى: ﴿... ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا...﴾ [سورة النور: ٤٠]

وكقول الشاعر في وصف فرس:

إذا ما سابقتها الريحُ فرّت      وأبقت في يد الريح الترابا

وكقول امرئ القيس يصف فرساً:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ      دَرَاكاً وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادةً.

(٣) إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً، لا عادةً - كقول

الشاعر:

وَنُكْرِمُ جَارِنَا مَا دَامَ فِينَا      وَتُبْعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا

فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة، وهذا ممتنع عادةً

وإن كان غير ممتنع عقلاً، وهما مقبولان.

لأنَّ الصفة المبالغ فيها إمَّا أن تمكن عقلاً وعادة؛ وهو التبليغ، أو عقلاً لا عادة؛ وهو الإغراق، أو لا عقلاً ولا عادة؛ وهو الغلو، وأصل الإغراق في الزرع، والغلو بعد الرمية بالسهم بقدر الإمكان، ولمَّا كان الخروج من الحقِّ إلى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن الحدِّ سُمِّي غلوًّا.

وقد اختلف في المبالغة: فقوم يرونها من محاسن هذا الفن؛ لقولهم: أحسنُ الشَّعر أكلبُه، وخير الكلام ما بولغ فيه، وقوم يرونها من عيوب الكلام، ولا يرون من محاسنه إلَّا ما خرج مخرج الصِّدق، واحتجُّوا بقول حسان رضي الله عنه:

وَإِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ      عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمُقًا  
وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ      بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا  
وذلك كقول طرفة:

لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى      لَكَالطَّوْلِ الْمُزْحَى وَثِيَاهُ فِي الْيَدِ  
سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ  
والصواب أنَّ المبالغة من المحاسن، لوقوعها في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، مع قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وكقوله سبحانه: "كُلُّ عمل ابن آدم له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به"<sup>(١)</sup>، فهذا لقصد المبالغة في

(١) إنَّ كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف مستحيلًا عقلاً وعادةً - كقول الشاعر:

تَكَادُ قَسِيَهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ      تُمَكِّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّيَالَا

(٢) أخرجه البخارى (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢ رقم ١١٥١)، والنسائي (١٦٢/٤) رقم ٢٢١٣ عن أبي سعيد، ٢٢١٤ عن أبي هريرة) وابن خزيمة (١٩٨/٣)، رقم (١٩٠٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٢٧٢/٢، رقم ٨٨٩٣) ..

تعظيمه وتشريفه، وإلاً فالأعمال كلها لله، باعتبار قصد وجهه بها، وللعبد باعتبار ثوابه عليها، فالتبليغ والإغراق مقبولان.

فالتبليغ كقوله:

وَرَامَ كَبْدَرٍ حَلَّ بِالقَوْسِ لَمْ يَزَلْ      لِأَسْهُمِهِ فِي القَلْبِ مَنِّي مَوْقِعُ  
وَأَلْحَاطُهُ مِنْ مُرْسَلَاتِ نِبَالِهِ      إِلَى مُهْجِ العُشَاقِ أَمْضِي وَأَسْرَعُ  
وصف المعشوق الرّامي بالقوس أنّ نبال ألحاطه أمضى وأسرع إلى مهج عشاقه من نبال قوسه، وهذا غير مستحيل عقلاً وعادةً، في كون اللحظ أمضى، وأسرع من مرّ السهم.

والإغراق كقوله:

وَمِنْ سَقَمِي أَنِّي كَسَلِكِ نِظَامَةٍ      لِأَلَيِّ دُرٍّ مِنْ مَوَاقِعِهَا الحَدُّ  
فَلَوْ عَطَفْتُ لَيْلَى عَلَيَّ وَأَنْعَمْتُ      بِضَمِّ لَظَنِّ الجِيدِ أَنِّي لَهُ عِقْدُ  
فالجسم النحيل من فرط المحبة، حتى صار كالسلك الذي ينظم فيه الدرّ يستحيل عادةً لا عقلاً.

والغلو أقسام:

مقرون بكاد ونحوها، ومبني على تخييل حسن، وخارج مخرج الهزل والخلاعة، وكل ذلك مقبول وسواه لا، كقوله:

وَعَادَةَ رَاحِ ظَبْيِي القَاعِ مُخْتَلِسًا      أَلْحَاطُهَا وَسَنَاهَا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ  
فَلَوْ أَمَرْتُ عَلَى صَخْرٍ أَنَامِلُهَا      لَكَادَ مِنْ وَجْدِهِ يَسْعَى لَهَا الحَجْرُ  
سعيه ليس بممكن عادةً وعقلاً، ولكن لما قرن بكاد قبله العقل، وكقوله:

لَمَّا سَرَوْا لَيْلًا بِلَيْلَى بَعْتَةً      وَأَصَابَنِي سَهْمُ النَّوَى فَتَمَكَّنَا  
جَمَدْتُ مِنْ نَارِ الغَرَامِ مَدَامِعًا      لَوْ رُمْتُ مِنْهَا نَظْمَ عِقْدٍ أَمَكَّنَا  
فالتخييل هو تجميد الدّمع بواسطة نار الغرام، وتشبيه الدّمع بالدرّ.

وكقوله:

الفن الثاني: في البديع المعنوي \_\_\_\_\_ ١٤٣

أَسْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشِّدِّ شُرْبِ غَدًّا إِنْ ذَا مِنَ الْعَجَبِ

وكقوله:

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

وهذا ممتنع عقلاً وعادة.

obeyikanda.com

## باب حسن التعليل<sup>(١)</sup>

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له، باعتبار لطف غير حقيقي، كقوله:  
 وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلَهَا صَفْحَةَ الثَّرَى لَمَا كُنْتُ أَدْرِي عِلَّةً لِلتَّيْمُمِ  
 وقوله:

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ جُعِلْتَ مُصَلَّى وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطَيْبًا  
 فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَنِّي حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبًا

والوصف المعلل في هذا الباب أربعة:

- ١- ثابت خفي العلة.
- ٢- وثابت ظاهر العلة.
- ٣- وغير ثابت ممكن.
- ٤- وغير ثابت غير ممكن، كقوله:

لَمْ يَحِكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحَضَاءُ

(١) هو أن ينكر الأديب صراحةً، أو ضمناً، علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطف، ومشملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه، يعني أن الأديب: يدعي لوصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسناً وطرافةً، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً، كقول المعري في الرثاء:  
 وما كلفة البدر المُنير قديمةً ولكنها في وجهه أثر اللطم  
 يقصد: أن الحزن على (المرثي) شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدعي أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كُدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من (أثر اللطم على فراق المرثي).

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١١٧/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٦٠/١-٢٧٥) وكتاب الكليات - لأبي البقاء الكفومي (٦٤٥/١) والبلاغة الواضحة (٩/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٥/١).

وقوله<sup>(١)</sup>:

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزُجُو الدِّثَابَ  
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْعَادَةِ لِدْفَعِ مَضَرَّتِهِمْ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ.

وكقول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِيًا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْعَرَقِ  
وقوله:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةَ الْجَوَازِءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عَقْدَ مُنْتَطِقِ  
وَأَلْحَقَ بِهِ مَا بُنِيَ عَلَى الشُّكِّ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحَ الصَّبَا بِنَسِيمِهَا إِلَى الْغَيْثِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ  
كَأَنَّ السَّحَابَ الْعُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَزَقَّى لَهُنَّ مَدَامِعُ

جعل علة دوام مطر السحاب على هذه الرُّبِّي كون الحبيب دفن تحتها،

ومثل بيت مسلم بن الوليد بيت ابن سناء الملك:

عَلَّمْتَنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْبِيحِ  
وقول القائل:

أَعْتَقَنِي سُوءٌ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقِّ فِيَا بَرَدَهَا عَلَى كَيْدِي  
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فِيكَ وَمَا أَحْسَنَ سُوءَ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي (١١٤/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠١/٢) وتراجم شعراء موقع أدب (٣٨٥/٤٧) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٧/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٦٠/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٥/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

## باب تأكيد المدح بما يشبه الذم<sup>(١)</sup>

وبهذا سمّاه عبدالله بن المعتز؛ لأنه لمّا كان مبنياً على مبالغة المدح قيل تأكيد المدح، ولمّا كان بعد الاستثناء يُوهَم الذمّ قيل بما يشبه الذمّ، وهو ضربان:

أفضلهما: أن تستثني من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح، وكأداة الاستثناء حرف الاستدراك، كقول النابغة الذبياني<sup>(٢)</sup>:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ      بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ  
وَقَوْلُهُ:

وَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبُهُ      وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى وَرْدِ خَدِّهِ

---

(١) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠٣/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٨/١) ومفتاح العلوم (١٨٥/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٨٣/١ و ٢٨٥ و ٣٩٢) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١) والبلاغة الواضحة (٩/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

(٢) انظر: أمثال العرب (١٧٠/١) وزهر الأكم في الأمثال والحكم (١٢٤/١) والأمثال لابن سلام (١٩/١) وشرح ديوان المتنبي (٢٠٩/١) والبديع في نقد الشعر (٢٦/١) وشرح أدب الكاتب (٤٨/١) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٢٥/١) والحماسة البصرية (٥١/١) ومحاضرات الأدباء (١٣٥/١) وسر الفصاحة (٩٤/١) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٨/١)

أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق بالمحال، كقولهم: حتى يبيض الفار، فالتأكيد فيه من وجهين أحدهما أنه كدعوى الشيء بينة، والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً فإذا نطق المتكلم بالأو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح وإن كان فيه نوع من الخلافة.

وَلَا فِيهِ مِنْ شَيْءٍ يَشِينُ صِفَاتِهِ سَوَى سِحْرِ عَيْنَيْهِ وَقَامَةِ قَدِّهِ  
وَلَا شَاقِنِي إِلَّا تَجَنِّيهِ عَامِدًا وَلَا ضَرَّنِي إِلَّا بِتَطْوِيلِ صَدِّهِ

والثاني: أن ثبت لشيء صفة، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى؛ كقول النابغة الجعدي<sup>(١)</sup>:

فَتَى كَمَلْتُ أَحْلَافَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا  
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرٌ سَوَى أَنَّهُ الضَّرْغَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ  
ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح: وهو قسمان، كما مرَّ نحو: زيد ظالم،  
إلا أنه يكثر الكذب، ولا خير في زيد، إلا أنه يخلف الوعد، وكقوله:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَهْوَى تَهَيَّأْ مُصَابِرًا لِعَذْلِ عَدُولٍ فِي الْمَحَبَّةِ مَارِقِ  
وَوَاشِ كَكَلْبٍ نَاجِحٍ غَيْرَ أَنَّهُ كَذُوبٌ لَهُ فِعْلٌ كَفِعْلِ الْمُنَافِقِ

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي (٢٨٩/١) والبديع في نقد الشعر (٢٦/١) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٢٥/١) ولباب الآداب للثعالبي (٤١/١) وزهر الآداب وثمر الألباب (٣٨٤/١) وسر الفصاحة (٩٤/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣/١) والشعر والشعراء (٥٧/١) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٨/١).  
(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١١٨/١) ومفتاح العلوم (١٨٥/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٨٤/١).

## باب القول بالموجب

ويسمى: الاستدراك؛ وهو تخصيص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم، وبكسر الجيم؛ لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم، فهو اسم فاعل، ويحتمل فتح الجيم إن أريد به الحكم الذي أوجبه الصفة، وهو من محسنات الكلام، كقوله:

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمْ دُرُوعًا      فَكَأَنَّهُمْ لَأَعْيَادِي  
وَخِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ      فَكَأَنَّهُمْ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي  
وَقَالُوا قَدْ صَفْتَنَا قُلُوبًا      وَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وكقوله في من أودعت عنده وديعة، فادعى ضياعها:

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيُضَدُّقُ أَنَّهَا      ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْجَبُ لَوْ تَعِي  
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيُضَدُّقُ أَنَّهَا      وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعِ

والقسَم والدعاء من المحسنات للكلام، كقول ابن المعتز:

لَا وَالَّذِي سَلَّ مِنْ جَفْنِيهِ سَيْفٌ رَدَى      قُدَّتْ لَهُ مِنْ غَدَائِرِ حَمَائِلُهُ  
مَا صَارَتْ مُقْلَبِي دَمْعًا وَلَا وَصَلَتْ      غُمْضًا وَلَا سَالَمَتْ قَلْبِي بِلَابِلُهُ

وكقوله:

جَنَى وَتَجَنَّى وَالْفُؤَادُ يُطِيعُهُ      فَلَا ذَاقَ مَنْ يَجْنِي عَلَيَّ كَمَا يَجْنِي  
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمَسْمَعِي      فَلَا نَظَرَتْ عَيْنِي وَلَا سَمِعَتْ أُذُنِي

### باب تجاهل العارف<sup>(١)</sup>

ويسمى الإعنات، وهو أن يسأل المتكلم عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه تجاهلاً منه؛ للمبالغة في مدح، أو ذم، أو تعظيم، أو تحقير، أو تدله، كقوله:

غَزَانِي بِلِحْظِيهِ وَلَيْنِ قَوَامِهِ      وَأَشْكُرُنِي مِنْ مَرَشَفِيهِ رَحِيْقُهُ  
فَحِرْتُ فَلَا أُدْرِي أَرْمَحُ قَوَامُهُ      أَمْ السَّيْفُ عَيْنَاهُ أَمْ الْخَمْرُ رِيْقُهُ؟!

وقوله:

وَإِنِّي لَسْتُ أُدْرِي مِنْ غَرَامِي      أَلِنَسَانٌ عَذُولِي أَمْ حِمَارٌ!!  
وقوله:

بَدَا فَرَاعٌ فَوَادِي حُسْنِ صُورَتِهِ      فَقُلْتُ هَلْ مَلِكٌ ذَا الشَّخْصِ أَمْ مَلِكٌ؟!  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

وَمَا أُدْرِي وَلَسْتُ إِخَالَ أُدْرِي      أَلْقَوْمٌ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٌ؟!  
وقوله:

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا      لَيْلَايَ مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشْرِ؟!

(١) هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقةً، تجاهلاً لثبوتها، كالتوبيخ، نحو قول الشاعر:

بَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

أو المبالغة في المدح، كقول البحري:

أَلْمُعُ بَرَقَ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ      أَمْ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمُنْظَرِ الضَّاحِي

انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب

(٣٠٣/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١٢٠/١) والبديع لابن المعتز (١٦/١) وكتاب

الكليات - لأبي البقاء الكفومي (٨١٨/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٣١/١) والعمدة في محاسن الشعر

وآدابه (١٦٩/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٤/١) وتراجم شعراء موقع

أدب (١٥١/٢١) وتاج العروس (٧٨٦٧/١) ولسان العرب (٤٩٦/١٢) والإيضاح في

علوم البلاغة (١٢٠/١).

## باب المذهب الكلامي<sup>(١)</sup>

وهو أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة، على طريقة أهل الكلام، كقوله:

بُرُوحِي خَوْدٌ يُخْجَلُ الْغُضْنَ قَدُّهَا      كَظْبِي الْمُصَلَّى لَفْتَةٌ وَنَفَارًا  
 وَلَوْ لَمْ تَكُنْ أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ بِهَجَّةٍ      لَمَا صَيَّرْتَ جُنْحَ الظَّلَامِ نَهَارًا  
 أي: لكنّها صيَّرت الظلام نهارًا، فينتج أنّها أبهى من الشمس.  
 وقول ابن المعتز:

كَيْفَ لَا يَخْضَرُ عَارِضُهُ      وَمِيَاهُ الْحُسْنِ تَسْقِيهِ؟!

(١) هو أن يورد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، واللازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل، وليس شيء أدل على ذلك من الحقيقة والواقع، وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى..﴾ [سورة الحج: ٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ..﴾ [سورة الروم: ٢٧]، أي وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

وسمي هذا النوع بالمذهب الكلامي لأنه جاء على طريقة علم الكلام والتوحيد، وهو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة.

انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٨٧/١) وتحليل التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٠/١) وتحليل التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٢١/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠١/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٦/١) والبديع لابن المعتز (١٤/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٥٩/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٥/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

أي: لكن مياه الحُسن تسقيه، فكيف لا يخضر، وفي التنزيل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ أي: لكنهما لم تفسدا، فليس فيهما آلهة إلا الله.

وقال الفرزدق:

لِكُلِّ امْرِئٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ      وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا  
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِيكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى      إِذَا قَلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا  
أي: إذا أمرتك الأمارة بترك الندى، شفعت إليها المطمئنة في الندى  
فقبلت، فأنت أكرم الناس.

## باب التجريد<sup>(١)</sup>

(١) لغة إزالة الشيء عن غيره.  
واصطلاحاً: أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها،

وأقسام التجريد كثيرة منها:

أ - ما يكون بواسطة من التجريدية، كقولك: لي «من» فلان صديق حميم، أي بلغ فلان من الصداقة حدًا صحَّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها.  
ونحو قول الشاعر:

ترى منهم الأسد الغضاب إذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدورا

ب - ما يكون بواسطة «الباء» التجريدية الداخلة على المنتزع منه، نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها. و نحو: (شربت بمائها عسلاً مصفى...) فكأن حلاوة ماء تلك العين الموصوفة وصلت إلى حدٍ يمكن انتزاع العسل منها حين الشرب.

ج - ما لا يكون بواسطة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكُوثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتْتَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢]، وكقوله: (وسألت بحراً إذ سألته) جرّد منه بحراً من العلم، حتى أنه سأل البحر المنتزع منه إذ سأله.

د - ما يكون بطريق الكناية، كقول الأعشى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَزَكِبُ الْمَطِيَّ وَلَا يَشْرِبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

ه - أن يكون المخاطب هو نفسه، كقول المتنبي:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

فإنه انتزع وجرّد من نفسه شخصاً آخر وخاطبه فسّمى لذلك تجريداً، وهو كثير في كلام الشعراء.

انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١٤٦/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣١٣/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (٩٦/١) المعجم الوسيط (٢٤٠/١) والخصائص (٢٣٥/١) وكتاب الكليات - لأبي البقاء الكفومي (٤١٥/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٥/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١)

وهو أن يَنْزِعَ من أمرٍ ذي صفةٍ آخرٍ مثله فيها؛ مبالغةً في كمالها فيه، نحو:  
لي من فلان صديق حميم؛ أي: بلغ من الصداقة حدًّا صحَّ معه أن يستخلص  
منه آخرٍ مثله فيها، وكقولهم: لئن سألتَ فلانًا لتسألنَّ به البحر، بالغَ في  
اتِّصافه بالسَّماحة، حتَّى انتزع منه بحرًا في السَّماحة، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا  
دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]؛ أي: في جهنَّم، وهي دار الخلد، ومنه مخاطبة  
الإنسان نفسه، كقوله:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ

وقوله:

أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ      مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

## باب الاستخدام

هو أن يُراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره المعنى الآخر، أو يُراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم بالآخر الآخر، كقوله:  
إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا  
وقول البحري:

فَسَقَى الْعُضَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي  
فالغضى يحتمل الموضع، والشجر، والشقيا صالحة لهما، وضمير  
الساكنيه للموضع، وضمير شبوه للشجر.  
والفرق بينه وبين التورية: أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة،  
وإهمال الآخر، والاستخدام استعمالها معًا.

ومنه أن يُؤتى بلفظ له معنيان متوسطاً بين لفظين، يستخدم لكلٍ منهما  
معناه، كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ [الرعد: ٣٨-  
٣٩]، فكتاب يُراد به الوقت، ويُراد به المكتوب، وقد توسَّط بين أجل  
ويمحو، فباعتبار الأجل يراد به الوقت، وباعتبار يمحو يُراد به المكتوب.

## ومن أنواع البديع

### نفي الشيء بإيجابه<sup>(١)</sup>:

وهو أن ينفي ما هو من سبب الشيء، كوصفه والمقصود في الحقيقة نفي ذلك الشيء، نحو: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، نفي الإلحاف والمقصود نفي المسألة ألبة، قيل: وعليه إجماع المفسرين.

ونحو: ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] نفي طاعة الشفيع، والمقصود نفي الشفيع أصلاً، وكقولك لمن تريد أن تسلبه الخير: ما أقل خيرك، فظاهره يدل على إثبات خير قليل، والمراد نفي الخير: كثيره وقليله.

(١) هو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته، نحو قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [سورة النور: ٣٧]. فإن نفي إلهاء التجارة منهم، إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضاً. فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً وكقول الشاعر للخليفة:

لم يُشغَلْكَ عن الجهادِ مكاسبٌ      ترجو ولا لهوٌ ولا أولادٌ  
فإنه يوهم إشغال المكسب له في الجملة - كما في الأولاد - مع أنه لا كسب للخليفة.

انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/١٣٦) وتحريير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١/٧٤) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٣١٥) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٦) وعلم البلاغة الشيرازي (١/٦).

### والسلب والإيجاب<sup>(١)</sup>:

وهو أن يثبت الشيء من جهة، ويُنفى من جهة أخرى نحو: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَزْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونحو: وَالْعَاذِلُونَ بِإِيحَابِ الْمَلَامِ غَلَوُوا وَمَا غَلَوُوا قِيمَةً مِنْ سَلْبِ ذَوْقِهِمْ أثبت غلوهم إلى تجاوزهم الحد من جهة اللوم، ونفاه من جهة قيمتهم وقدرهم.

(١) هو أن يقصد المتكلم تخصيص شيء بصفة فينفىها عن جميع الناس، ثم يثبتها له مدحاً أو ذماً، فالمدح كقول الخنساء:

ما بلغت كُفُّ امرئٍ متناولٍ من المجد إلا والذي نلت أطول  
ولا بلغ المهدون في القول مدحةً وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل  
فقصد أبو نواس أخذ معنى الثاني من البيتين فلم يتهياً له أخذه إلا في بيتين، وقصر عنه بعد ذلك تقصيراً كثيراً، وناهيك بأبي نواس، وذلك أنه قال:

إذا نحنُ أثَّينا عليكِ بصالحٍ فأنتَ كما تُثني وفوق الذي نُثني  
وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنتَ الذي نُغني  
والذم، كقول بعضهم:

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لمكْرمةٍ فكأنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا  
رُزِقُوا وما رُزِقُوا سماحٍ يدِ فكأنما رُزِقُوا وما رُزِقُوا

انظر: نقد الشعر (٢٥/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣١/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢٩٧/٢) وكتاب الكليات - لأبي البقاء الكفومي (٨١٠/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

### والترشيح:

وهو لفظ يذكر لتهيئة نوع من البديع: استعارة، أو تورية، و طباقاً أو غير ذلك، كقوله:

وَكَلَّمَا نَسَجُوا حَوْكًا بَوْشِيهِمْ عَنِّي لَهُمْ رَشْحُوهُ بِاخْتِرَاعِهِمْ  
فالترشيح هنا في التورية والاستعارة، فالوشى تورية؛ لأن له معنيين أحدهما الثوب المنمق المخطط، والثاني الكلام الذي ينقله الواشي، وذكر النَّسِج والحوك الذي هو من لوازم الأَوَّل ترشيح له، والنَّسِج والحوك استعارة من حقيقته إلى الكلام المنمق.

## الخاتمة

قد أحببتُ أن أذكر هنا نصيحةً نافعة، وزبدةً لامعة، وإن كنتُ في ذلك كمن يصف الدواء ولا يستعمله، ويأمر بالمعروف ولا يستعمله، غير أنني أنهج الطريق، وأحض على التوفيق:

ينبغي لك أيها الناظم والناثر أن لا تكره الخاطر على وزن مخصوص، وروي مقصود، وتوخَّ الكلام الجزل دون الرذل، والسَّهل دون الصَّعب، والعذب دون المستكره، والمستحسن دون المستهجن، واجعل الألفاظ جزلةً فصيحةً، وعربيةً سمحةً فسيحةً، تحكي سلاستها رقة الماء، وصفوة الهواء، ولا تعمل نظمًا ولا نثرًا عند الملل والضجر؛ فإنَّ الخواطر ينابيع إذا رُفق بها جمعت، وإذا عُنِف عليها نزحت، واكتب كلَّ معنى يسبح، وقيد كلَّ فائدة تعرض؛ فإنَّ نتائج الأفكار تعرض كلمح البرق ولمحة الطَّرف، والترنم بالشعر ربما يُعين عليه.

وعن الفرزدق أنه قال: "لقد يمر عليَّ الزمن وإنَّ قلَّع ضرس من أضراسي لأهونُ عليَّ من أن أقول بيتًا واحدًا من الشعر، وإياك وتعقيد المعاني وتعكير الألفاظ، واعمل في أحبِّ الأغراض إليك، وفيما وافق طبعك؛ فالنفوس تُعطي على الرِّغبة ما لا تُعطي على الرِّهبة، وأشعر القصيدة أولاً، ونقحها ثانيًا، وكرِّر التَّنقيح، وعاود التَّهذيب، فقد كان الحطيئة يعمل القصيدة في شهرين وينقحها في شهرين اقتداءً بزهير، فإنه كان راويته، وقد كان زهير يعمل القصيدة في شهر واحد، وينقحها في حَوْل كامل، حتَّى قيل لشعره: المنقَّح الحولي".

وعن البحتري أنه قال: "كنتُ في حدائتي أروم الشعر، وكنتُ أزرع فيه إلى طبع سليم، ولم أكن وقفتُ على تسهيل مأخذه، فقصدتُ أبا تمام، فقال لي: يا أبا عبادة، تخيِّر الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واختز

وقت السَّحَر؛ فَإِنَّ النفس قد تكون أخذت حظَّها من الرَّاحَة، وقسَّطها من النوم، وخَفَّ عنها ثقلُ الغذاء، وصَفَا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسمُ الهواء، ورَقَّت النَّسائم، وتغنَّت الحمائم.

وتغنَّ بالشَّعر واجتهد في إيضاح معانيه، فإن أردت النسيب، فاجعل اللَّفظ رقيقاً والمعنى رشيقيًا، وأكثر فيه من بيان الصَّباية، وتوجَّع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، والتعلُّ باستنشاق النَّسائم، وغناء الحمائم، والبروق اللامعة، والنجوم الطَّالعة، والتبرُّم بالعدَّال والعواذل، والوقوف على الطَّل الماحل.

وإذا أخذت في مدح سيِّد ذي أياذ، فأشهز مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبن معالمه، وشرف مقاومه، وأزهف من عزائمها، ورغب في مكارمه، وتقاصَّ المعاني، واحذر المجهول منها، وإيَّاك أن يشين شعرك بالعبارة الرزيَّة، والألفاظ الوحشيَّة، وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خيَّاطٌ تقدِّر الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضك الضجر فأرخ نفسك، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشَّعر الذريَّة إلى حُسن نظمه؛ فإن الشهوة نغم المعين". انتهى.

واعلم أن من النَّاس مَنْ شعَّره في البديهة أبدع منه في الرويَّة، ومنهم بالعكس، ومنهم مَنْ إذا خاطب أبدع، وإذا كاتب قصَّر، ومنهم بضدِّ ذلك، وقد يبرز الشَّاعر في معنى من معاني مقاصد الشَّعر دون غيره؛ ولهذا قيل: أشعر النَّاس: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، وعترة إذا كلب والأعشى إذا طرب، واحذر إذا كاتب من الإسراف في الشُّكر؛ فإنَّه يوجب للكلام ثقلاً، ولا تطلِّ الدُّعاء؛ فإنَّه يورث مللاً، ولا تجعل كلامك مبنياً على السَّجع كله، فتظهر عليه الكلفة، وربَّما استدعى إلى

ارتكاب المعنى الساقط، واللفظ النازل، بل اصرف كل النظر إلى تجويد الألفاظ وصحة المعاني، واجتهد في تقويم المباني.

فإن جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد، وتشابهت مقاطعه من غير كسب فهو غاية المراد، وإن عز ذلك فاتركه، فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة، ولا يقصدونه بته إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام، واتفق من غير قصد، وإنما كانت كلماتهم متوازنة، وألفاظهم متناسبة، ومعانيهم ناصعة، وعبارتهم راتقة، وفصولهم متقابلة، وجمل كلامهم متماثلة، وتلك طريقة أمير المؤمنين علي، ومن اقتفى أثره كابن المقفع، وسهل بن هارون، وإبراهيم بن العباس والحسن بن سهل، وعمرو بن مسعدة، وأبي عثمان الجاحظ.

ولا تجعل كل الكلام شريفاً عالياً، ولا وضعياً نازلاً، بل فصله تفصيل العقود؛ فإن العقد إذا كان كله نفيماً لا يظهر حسن فرائده.

واعلم أن الألفاظ أشباح، والمعاني أرواح لا تقوم إلا بقيامها، ولا تنتظم إلا بنظامها، والمعنى الأصيل في اللفظ الثقيل بمنزلة الروح الكريمة في النفس اللئيمة تملأها الأبصار، وتنقبض عنها الأفكار، فإذا قويت الألفاظ فقو المعاني، فإذا أضعفتها فأضعفها، واقصد القوافي السهلة المستحسنة دون المستصعبة المستهجنة، والأوزان الحلوة المستعملة دون المهجورة الكثرة، واجعل كلامك كله كالتوقيعات، وعليك بالمقطعات؛ فإنها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أشرق وأجول، ولم تزل الأجلاء المتقدمون يحمدون ذلك ويذمون ما سواه، قال أحمد بن يوسف الكاتب:

دخلت يوماً على المأمون وفي يده كتاب، وهو يعاود قراءته تارة بعد أخرى، فتنكزت في ذلك فالتفت إلي وقال: يا أحمد، أراك مفكراً، إنه لا

مكروه في الكتاب، ولكنِّي قرأت فيه كلامًا وجدته نظير ما سمعت الرّشيد رحمه الله يقوله في البلاغة.

فإنِّي سمعته يقول: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أنّ أحدًا يقدر على ذلك، حتّى قرأت هذا الكتاب، ورمى به إليّ وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة إلينا، قال: فقرأته فإذا فيه: كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده، وسائر أجناده، في الانقياد والطاعة على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وانقياد كافة تراخت أعطياتهم، فاختلت لذلك أحوالهم، والتأثت معه أمورهم، فلمّا قرأته قال لي: يا أحمد، إنّ استحساني لهذا الكلام بعثني على أن أمرت للجند قبله بعطياتهم لسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقّه محلّه من صناعته.

وفي هذا القدر كفاية لمن تدبّره، والله أعلم.